نور الدين فقد سار على نهج أبيه الجهادي في مواجهة الفرنجة وضعاف الحكام المسلمين. وكانت له صولته في الدفاع عن دمشق التي خطط الفرنجة لاحتلالها في الحملة الصليبية الثانية، بما جعله يصبح حامي دمشق والمجاهد الأكبر.

بدأت الحملة الأوروبية الثانية عام ١١٤٨م وجوبهت بمقاومة باسلة من جبال طوروس شمالاً إلى أغوار الأردن جنوباً، مروراً بدمشق التي قاتل أميرها معين الدين وعقد هدنة مع الفرنجة عام ١١٤٩م، متخوفاً من تمدد نور الدين زنكي، وفي الجبهة الجنوبية اجتاح الغزاة الفرنجة معظم المدن الفلسطينية التي كانت تحت الحكم الفاطمي وحاصروا عسقلان سبعة أشهر إلى أن استسلمت بعد نصف قرن من سقوط القدس، وأصبح حاكم دمشق يخضع لإملاءات الفرنجة المالية والسياسية أكثر فأكثر...

استخلص ابن الأثير: لما رأى نور الدين ذلك خاف أن يملكها الفرنج فراسل صاحبها وواصله بالهدايا إلى أن وثق إليه وصوّر له أن قادته العسكريين يتآمرون عليه، بما أضعفه، فزحف على دمشق واجتاحها في ١١٥٤م، وبذلك توسعت مملكة نور الدين زنكي وحسّن من ميزان القوى في الصراع مع الفرنجة»... ومن جانب آخر (أرسل قوة عسكرية إلى مصر لحمايتها من الفرنجة، خصوصاً أن أوضاعها الداخلية في فوضى والفلتان الأمني بلغ ذراه حتى أن الخليفة بات العوبة في أيدي الوزراء، فاستنجد بنور الدين زنكي فيما وزيره شاور استعان بالفرنجة ودارت معارك طاحنة إلى أن انتصرت قوات نور الدين بقيادة شيركوه الذي تولى الوزارة في ١١٦٩م ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي لتصبح مصر جزءاً من مملكة نور الدين زنكي)[٦١].

بعد عام تقرر ارسال حملة فرنجية تقدمت قواتها البرية من عسقلان في تحالف مع الأسطول البيزنطي الذي أبحر نحو دمياط في خطة شاملة لاحتلال مصر، غير أن الحملة عادت خائبة وقد أعد لها صلاح الدين العدة، أما نور الدين زنكي فقد توسع في الشام، وبضغوط منه أعلن الحكم في مصر ولاءه للخلافة العباسية بما اثار استياء أهل مصر سيما أنه قد (جرت تصفية مؤسسات النظام الشيعية وتطهيرها من مؤيدي الخلافة الفاطمية)[٦٢].

وزادت مخاوف صلاح الدين من سيده نور الدين فرتب حملة عسكرية بقيادة أخيه نوران إلى اليمن واستولى عليها...

---

٦١) د. عثامنة، مرجع سابق. ص٦٤

٦٢) د. عثامنة، مرجع سابق. ص٦٨